الأندلس معبراً حضارياً

ورقة عمل مقدمة إلى ندوة

(دور العلماء في نشر الثقافة الإسلامية في البلدان الغربية)

الجامعة العراقية ـ قسم الشؤون العلمية

2011 / 5 / 4

إعداد

م . د عامر ممدوح خيرو

الجامعة العراقية ـ كلية الآداب

قسم التاريخ

أولا : مقاربات ضرورية

يكتسب موضوع الدور الحضاري الذي قامت به الأندلس (إسبانيا والبرتغال) في نشر الثقافة الإسلامية بمختلف جوانبها في أوربا أهمية كبيرة ، وهو موضوع ثر وواسع ومتشعب ، كتب فيه الكثيرون من المحدثين مئات الصفحات ، ونبه إلى بعض مفاصله الأقدمون ، حتى بات القيام بتلخيص ما كتب وجمع من معلومات مهمة عسيرة تتطلب جهداً كبيراً نظراً لأبوابه الكثيرة وجوانبه العديدة .

ولقد ارتبطت الأندلس في الوعي العربي والإسلامي بحقبة زاهرة ومهمة في تاريخهم ، ولعل واحدة من جوانبها الأساسية تلك الأنوار التي سطعت منها على الساحة الأوربية التي تلقفت تلك الأنوار بلهفة ، وملتمسة ما ينير حياتهم المتأخرة والمتخلفة ، فكانت أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية معبراً حضارياً متميزاً تدين له الكثير من المؤسسات الأوربية نظير هذه الإسهامات ، مثلما إن الكثير من الدلائل والآثار تعززه وتؤكده .

والحضارة كما يعرفها أهل الاختصاص[1] فعل شامل لا يقتصر على الفنون والعلوم والآداب والعمارة وحسب ، على الرغم من كونها جزء أصيل فيها ، لكنها تتسع لتشمل القيم والثقافات التي يحملها أي شعب من الشعوب ، وإذا خصصنا الكلام عن الأندلس ، فالتأثير الحضاري الذي نشير إليه يتمثل بالعلوم والآداب التي قدمها المسلمون في تلك البقعة المهمة ، مثلما إنها منظومة القيم والثقافات والممارسات التي مارسها الأندلسيون ضمن حلقة الحضارة الإسلامية العامة والتي أنارت بأشعتها العالم كله .

وتدلنا دراسة التاريخ الأندلسي على إن الأداء الحضاري الإسلامي ظهر بصورة شاملة ومكتملة الجوانب فلم تقتصر على ناحية واحدة بل شملت كافة النواحي ، ولم تكن هذه الحضارة معتمدة على النقل ـ كما يدعي البعض ، تغافلاً أو تجاهلاً ـ بل اعتمدت على الإبداع والابتكار ، فقدمت للبشرية منجزات رائعة ، فهي حضارة صفتها العموم ، لا بالنسبة لميادين المعرفة الإنسانية وجوانبها فقط ، بل ولشمولها لكافة العناصر والمستويات ، ذكوراً وإناثاً ، وبلغت في ذلك شأواً بعيداً ، وكان كل ذلك أو كثيراً منه ترعاه الدولة وتنفق عليه [2].

وقصة التأثير الإيجابي هذا لا تتعلق بعصر الإزدهار الذي شهدته الأندلس في عصر الخلافة فقط ، وإنما بدأت منذ اللحظة التي وطأت فيها جيوش طارق بن زياد وموسى بن نصير أرض شبه الجزيرة الأيبيرية في سنة 92هـ حاملة معها رسالة سامية ، ومبادئ الدين القيم الذي فجر في الأنفس طاقات العمل والإبداع والسمو والرقي الحضاري بدءاً من بناء ذات الإنسان وانتهاءً بوضع أسس الدولة العادلة التي تمنح الحقوق وتصون الحريات وتعيش كل فئات المجتمع تحت ظلها متمتعة بامتيازات قل نظيرها .

لم يك الفتح الإسلامي للأندلس ـ لذلك كله ـ عملاً عسكرياً بحتاً ، أو عملية إسقاط دولة وإقامة أخرى مثلما يحدث في كثير من الأماكن ، وإنما كان ـ وبدون مبالغة ـ انتقالة حضارية واسعة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ذلك إن الفاتحين كانوا يحملون مع أسلحتهم وعددهم رسالة سماوية ، ودعوة ربانية ، ودين يملك من مقومات الفعل الحضاري الكثير على المستوى الفردي والمجتمعي بكافة صوره وأشكاله [3].

وهكذا كان ما حدث يوم (الفتح) ، عبارة عن لقاء حضاري ، الحضارة الإسلامية بكل ثقلها مع الحضارات الموجودة على الساحة هناك ، فكان التلاقح والالتقاء والتفاعل والعطاء ، والتأثر والتأثير [4] ، والذي

---

[1] مؤنس ، حسين ، الحضارة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 ، ص 13

[2] الحجي ، عبد الرحمن علي ، الحضارة الإسلامية في الأندلس ،ط1 ، بيروت ، دار الإرشاد ، 1969 ، ص26

[3] محمد ، صالح إدريس ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم الدعوة ، 1994 ، ص 405 – 413 .

[4] عن موضوع التأثر والتأثير الحضاري في الأندلس ، ينظر : الأهواني ، عبد العزيز ، اللقاء الحضاري في الأندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، 1978

بدأ في ذلك الوقت وأخذ بالتنامي حتى وصل ذروته في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 – 350) ، ولم ينكسر أو يضمحل حتى وقت التراجع حيث ظل الإنسان الأندلسي يعطي ويقدم عصارة فكره للعالم أجمع [1].

***

ثانياً: لقاء بين عالمين

إن الحديث عن التأثير الحضاري الإسلامي على أوربا يقتضي منا تسليط الضوء على الوضع الذي كانت تعيشه اوربا لحظة التقائها بالحضارة الإسلامية ، لندرك كم هي عميقة بل وكبيرة تلك النقلة التي تحققت لأوربا بعد الاتصال بالحضارة الإسلامية في الأندلس .

ثمة إشارات نجدها متناثرة في مصادرنا التاريخية تؤكد لنا أن الواقع الذي عاشته اوربا كان سيئاً ومتخلفاً لدرجة كبيرة جداً ، فهي لم تعرف من العلم والمعرفة شيئاً يذكر ، ليس هذا فحسب وإنما امتد التراجع إلى العادات والممارسات الاجتماعية ، فقد كان (الغرب يسير في طريق مظلم) كما تصف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة بدقة[2].

وليس هذا بغريب ، فوقتذاك كان رجال الطبقات العليا والإقطاعيون في أوربا يفخرون بجهلهم ، ويوم كانت اوربا تزخر بالجهل ، كانت الأندلس تزخر بالعلم والنور والمكتبات والجامعات ، ويوم كانت قرطبة تزهو بشوارعها الممتدة أميالاً عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة لم يكن في لندن مصباح عمومي واحد ، حتى بعد هذا التاريخ بسبعة قرون ، ولم يكن يستطيع أحد من سكان باريس بعد هذا التاريخ بقرون أن يتخطى عتبة بيته في يوم مطير حيث سيغوص في الوحل ، وبوم كانت جامعة أكسفورد في انكلترا تعتبر الاستحمام عادة وثنية كانت قرطبة قد مر عليها زمن طويل متمتعة بالحمامات الرشيقة ، ويوم كانت أوربا تعتبر المرض قدر الله وقضاءه فلا يجب أن يقاوم كان المسلمون يتمتعون حتى بالمستشفيات المتنقلة ، والأجنحة لكل مرض في مستشفيات ذات إمكانيات عالية وعناية رفيعة[3].

وإذا أردنا إجراء مسح سريع لواقع أوربا حينذاك ، وجدنا المعلومات تترى لتؤكد وتعزز ما نقول ، حيث يقدم لنا الجغرافيون المسلمون معلومات دقيقة عن حال سكان الدول الأوربية الذين كان مستواهم الحضاري متدنياً لدرجة كبيرة جداً ، ومن هؤلاء الجلالقة ــ سكان جليقة في شمال أسبانيا ــ حيث كانوا أهل غدر ودناءة أخلاق ،لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد ، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم وتصح أبدانهم ، وثيابهم أضيق الثياب ، وهي مفرجة يبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم [4] ، ويضيف صاعد الأندلسي أن سكان الأقطار الأوربية (أشبه بالبهائم منهم بالناس لأن من كان منهم موغلاً في بلاد الشمال .. فعظمت أبدانهم وابيضت ألوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقة الأفهام ، وثقوب الخواطر وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة) [5].

---

[1] عن موضوع الحركة العلمية في زمن الفتنة ودول الطوائف يراجع : السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، الموصل ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل ، د.ت ، ص 332 – 339.

[2] زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فؤاد بيضون وكمال دسوقي ، ط 8 ، بيروت ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، 1993 ، ص359 .

[3] الحجي ، الحضارة الإسلامية ، ص70 .

[4] البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، جغرافية الأندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، 1968 ، ص81 .

[5] صاعد الأندلسي ، أبو القاسم ، طبقات الأمم ، نشره لويس اليسوعي ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1912 ، ص 8 - 9 .

ولم يكن حال الصقالبة أو السلاف أحسن من الذين سبق ذكرهم ، فهم كانوا (يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات رئيسهم ويحرقون دوابهم ، ولهم أفعال مثل أفعال الهند ، وهم يتصلون بالشرق ويبعدون من الغرب ، وهم يطربون ويفرحون عند حرق الميت ، ويزعمون أن سرورهم وإطرابهم لرحمة ربه إياه ، ونساء الميت يقطعن أيديهن ووجوههن بالسكاكين ، وإذا زعمت واحدة منهن أنها محبة له علقت حبلاً وارتقت إليه على كرسي فتشتد به في عنقها ثم يجذب الكرسي من تحتها فتبقى معلقة تضطرب حتى تموت ثم تحرق وتلحق بزوجها [1].

وبالمقابل لو أجرينا مقارنة سريعة بين هذا الواقع المزري وبين واقع الأندلس لرأينا فرقاً كبيراً ، ففي كل الأندلس ـ خلال عصور الازدهار ـ لم يكن يوجد رجل أمي بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في اوربا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس [2].

وذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك عبد الرحمن الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادته الروم ، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية [3].

وفي هذا العصر الذهبي للأندلس ـ كما يقول إبن خلدون ـ مدت أمم النصرانية من وراء الدروب يد الإذعان للناصر ، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن من مرضاته [4].

وتتعاقب شهادات المؤرخين لتؤكد لنا أن الرقي الحضاري الذي عاشته الأندلس وقتئذ كان كبيراً ، حتى غدت الثقافة ومستوياتها عاملاً لتقييم الأشخاص وتفضيلهم ، ففي زمن الحكم المستنصر كان هناك سبعون مكتبة عامرة عدا المكتبات الخاصة للمشاهير من الرجال والنساء ، فكان أهل قرطبة من أشد الناس احتراماً للكتب وأكثرهم شغفاً باقتنائها واعتناء بخزائنها ، حتى أصبح ذلك على حد قول محمد بن عبد الملك بن سعيد من آلات التعيين والرياسة ، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة ، يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ، ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذي بخط فلان قد حصله وظفر به [5].

وتحت عنوان (شعب يذهب إلى المدرسة) تقدم لنا هونكة مقارنة دقيقة وبديعة في ذات الوقت بين الحالين الأوربي والإسلامي ، إذ تقول : لو أردنا دليلاً آخر على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب ، لكفانا أن نعرف أن نسبة 95 % على الأقل من سكان الغرب في القرون : التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني ، كانوا لا يستطيعون القراءة ولا الكتابة ، وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة ، وبينما امراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة ، وفي الأديرة يندر بين اكلهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة أنه عام 1291 م ، لم يكن في دير القديس جالينوس من اكلهنة والرهبان من يستطيع حلّ الخط ، بينما كان هذا كله يحدث في الغرب ، كانت آلاف مؤلفة من املدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواحهم الخشبية ، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ، ويجودون ذلك معاً بلحن جميل عن ظهر قلب ، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى في المبادىء لقواعد اللغة ، وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة

---

[1] البكري ، جغرافية الأندلس ، ص186 - 187

[2] الحجي ، الحضارة الإسلامية ، ص28

[3] المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1968 ، جـ 1 ص366.

[4] المصدر نفسه ، ص354

[5] ينظر الحجي ، عبد الرحمن ، أندلسيات ، ط1 ، بيروت ، دار الإرشاد، 1969، 162/1 ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص162.

في أن يكونوا مسلمين حقاً كما يجب أن يكون المسلم ، فلم يجبرهم أحد على ذلك بل اندفعوا إليه عن رغبة وإيمان) [1].

كما إن مساجد المسلمين في الأندلس وغيرها لم تكن المساجد مجرد اماكن تؤدي فيها الصلوات فحسب، بل كانت منبراً للعلوم والمعارف [2].

ولهذا كله بدأت وفود المتعلمين تدق أبواب قرطبة منذ وقت مبكر ، حيث جذبت جامعاتهم التي بدأت تزدهر منذ القرن التاسع عدداً من الغربيين من جانبي جبال البرانس ظل يتزايد حتى صار تياراً فكرياً دائماً ، وكان الطلبة يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا ليتلقوا العلم عن جهابذتها الأعلام ، إذ بدت عقول أهل قرطبة كقصورها في الحسن والروعة ، وأصبحت المدينة لذلك بحق (مفخرة للدنيا) في الفنون والعلوم وأسباب المدنية جمعاء [3].

ويبدو لنا من هذا الاستقراء السريع لمجموعة النصوص القليلة مدى البون الشاسع الذي كانت عليه اوربا بمقابل الواقع المتقدم والمتطور عند الأندلسيين ، الأمر الذي جعل من الأوربيين يقبلون بكل طاقاتهم على الاقتباس من مسلمي الأندلس والاستفادة مما قدموه من إسهامات حضارية علمية وغيرها .

***

ثالثاً: التأثير.. وطبيعته

لا يمكننا أن نلمّ بجميع صور التأثير ، فذاك أشبه باختزال مئات الكتب والمؤلفات في أسطر معدودة ، ولذلك فالجدولان المرفقان بورقة العمل المختصرة هذه لعلها تمنحاننا بعض التصور لما قدمه مسلموا الأندلس للحضارة الأوربية ، حيث كانت البعثات العلمية تتوافد على الأندلس بكثافة من مختلف الدول الراغبة باقتباس شيء من هذه الحضارة المعطاء ، وغدت ترجمة الكتب العربية ونقل المعارف واقتباسها سمة رئيسية للشعوب الاوربية التي لم تمنح معارف جديدة فقط وإنما اطلعت عن طريق مؤلفات العرب المسلمين على نتاجات الأمم الأخرى التي حافظ المسلمون عليها ولم يجدها غيرهم إلا عبر تلك المؤلفات [4].

أما أهم سمات التأثير الذي تركه الأندلسيون لأوربا فيمكن تلخيصه بالآتي :

- ✓ **تأثير إيماني**

فالحضارة التي قدمها المسلمون في الأندلس ، حضارة إيمانية قوامها التوحيد ، شعارها إنهاء عهد الغبش بالرؤية والاضطراب الفكري والعقائدي ، ومانحة سكان تلك الأصقاع الاستقرار النفسي الذي طالما بحثوا عنه وانتظروه طويلاً ، ولا غرو أن إيمانية الحضارة الإسلامية كان قد تميز بالتوازن الفريد بين العقل والجسم ، والمادة والروح ، والجمع بين جميع الثنائيات التي ظلت الأمم والحضارات الأخرى تعاني من الفصام القاتل بينها .

هذا فضلاً عن ربط الإنجاز الحضاري والثقافي بالإيمان، فكان طلب العلم ، وتلقيه وبثه ونشره ، كل ذلك فعلاً إيمانياً يجلب الأجر والحسنات لصاحبه قبل أي مكسب آخر .

---

[1] شمس العرب ، ص 393

[2] المصدر نفسه ، ص396 .

[3] بول ، ستانلي لين ، قصة العرب في أسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، القاهرة ، 1974 ، ص131 ، 132 ، 135.

[4] عن مراحل التأثير الأندلسي ينظر ، السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص 474-487

✓ **تأثير إنساني**

وإلى جانب إيمانيتها ، تفردت الحضارة الإسلامية بطابعها الإنساني ، فانطلقت بآفاقها الرحبة متجاوزة كل الانتماءات القومية والعنصرية ، الانتماء للإسلام أساسها دون تمييز أو معاداة للانتماءات الأخرى التي تمتعت بقدر واسع من الحرية الدينية والعلمية لم تشهده من قبل قط [1] ، وهكذا رأينا أن أرض الأندلس باتت ـ على سبيل المثال ـ نقطة جذب للأوربيين الذي وجدوا فيها ملاذاً متميزاً لطلب العلم واكتساب المعلومات وجمع الكتب والمؤلفات دون قيود أو عقبات ، الأمر الذي طبع هذه العملية بطابع الثراء مما أنعكس إيجاباً على الأراضي الأوربية .

✓ **تأثير منفتح**

حين وصل المسلمون إلى الأندلس وجدوا تراثاً مختلف التوجه والقيمة ، فلم ينغلقوا أو يجمدوا في التعامل معه ، على الإطلاق ، وإنما عملوا على استيعابه والاستفادة منه ، وليس في ذلك عيب أو نقص ، طالما أن الحضارة تحافظ على قيمها وثوابتها دون ذوبان في الحضارات الأخرى .

ولذلك عمد المسلمون إلى التقاط كل معلومة أو معرفة وجدوها تستحق العناية فنقلوها مستفيدين منها بتمييز وتدقيق ، فصححوا ما أخطأ به السابقون ، وعدلوا من اتجاهات التفكير التي لا تتفق والتصور الإسلامي ، ولم يكتف الأندلسيون بذلك وإنما جعلوا تلك المعارف نقطة انطلاق في إنجازهم المعرفي والعلمي ، فأسسوا عليه ، وقدموا رصيداً علمياً لا زال العالم يعيش على الكثير من مفاصله [2].

✓ **تأثير قيمي**

لقد قدم مسلموا الأندلس لأوربا علومهم دون مقابل ، وفتحوا مدنهم ومكتباتهم لجميع الوافدين ، وأعطوا تلك المعارف ليست علوماً صرفة ، وإنما ممزوجة بعدد كبير من القيم الأخلاقية والمجتمعية والحضارية .

لقد علم الأندلسيون الآخرين معاني التسامح ، والعرفان ، والإيثار ، والبذل ، والروح العلمية في البحث ، والروح التي تتقبل النقد ، ولكن أوربا وعلى الرغم من معرفتها لكل تلك المعاني تعاملوا بعد سقوط الأندلس مع المسلمين بروح الانتقام والثأر ، وهي التي احتضنت جميع الوافدين الذين نهلوا من علمها ونتاج مؤسساتها المتقدم ، وعطلوا العقول كي لا تأخذ وتتأثر بهذا الجانب بدافع التعصب الأعمى الذي أنعشته الكنيسة وغذته في نفوسهم.) [3] .

وأخيراً . . ربما تكون الأندلس قد امدت أوربا بما يبعث فيها نهضتها من جديد ، فنتيجة للأفكار التي تسربت إلى أوروبا من الأندلس الإسلامية ومن غيرها بدأت تعي تدريجياً ، وتصلح من أحوالها ونشأت أفكار جديدة ، كانت بداية لما يسمى بعصر النهضة ، ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا قلنا أن هذه العلوم الإسلامية والمفاهيم كانت هي المنطلق لأوربا لا إلى التقدم العلمي فحسب ولكن أيضاً إلى التغيرات السياسية والاجتماعية التي حدثت هناك ، والتي تلت ذلك وإن كنا لا ننكر أسباباً أخرى محلية ، ولعل حركة الإصلاح الديني التي قام بها كالفن Calvin ولوثر Luther لم تكن بمعزل عن هذه المؤثرات [4].

---

[1] ابن عاشور ، محمد الفاضل ، روح الحضارة الإسلامية ، ط2 ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1992 ، مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنة.

[2] للاستزادة عن هذا الموضوع ، ينظر : الأهواني ، اللقاء الحضاري ، ص121 وما بعدها

[3] الحجي ، الحضارة الإسلامية ، ص64 – 66.

[4] المصدر نفسه ، ص67 .

ملحق (1)

نماذج لإسهامات مسلمي الأندلس العلمية [1]

(كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي ، مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية ، كما وإن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة ، والذي أخذ به علماء اوربا ، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب في الأندلس) .

د. كويلر برونج ـ أستاذ العلاقات الاجنبية في جامعة برنستون في واشنطن

ت	العلم	المنجز
1	اللغة والأدب	• لم تعرف اوروبا الأدب إلا بعد أن ترجم إليها عدد كبير من كتب الأدب العربي ، وإن اول كتاب طبع في انكلترا في سنة 882 هـ / 1477 م ، وهو كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي وفاء مبشر بن فاتك . • كان للأدب الأندلسي وبخاصة الشعر أثر كبير في نشأة الشعر الأوربي الحديث في اسبانيا وجنوبي فرنسة ، ويأتي تأثير الزجل والموشح بالدرجة الأولى التي تمثل ثمرات أندلسية . • أخذ الغناء الشعبي المغنى (التوربادور) حتى بتقاليده من الأندلس ، والكلمة نفسها مأخوذة من الكلمة العربية (دور طرب) وكلمة اوكيتس بمعنى اسلوب التوقيع هو تحريف لكلمة إيقاعات العربية . • نجد تأثير القصص العربية على نشأة الأدب القصصي في اوربا من خلال ترجمة العديد منها وظهور التأثر بها في نتاجات كبار أدباء المسرح الإسباني .
2	الفلسفة	• برز في هذا الميدان فلاسفة كبار ومنهم إبن طفيل ومحمد ابن باجة وابن رشد الذي ترك أعظم الأثر في الغرب . • ترجمت كتب ابن رشد إلى اللاتينية وبقيت فلسفته مسيطرة على الفكر الفلسفي الأوروبي من أواخر القرن السابع الهجري / الثاني عشر الميلادي إلى آخر القرن السادس عشر الميلادي ، حتى إن مجمع باريس اللاهوتي أصدر قرار الحرمان في سنة 1269 م لكل من يردد كلام ابن رشد في النفس والإنسان وغيرها من المسائل الفلسفية . • عرفت أوربا عن طريق الأندلس مؤلفات أرسطو وأجزاء من فلسفة أفلوطين وأبرقلس ، ومعالم من فلسفة أفلاطون ، وذلك بواسطة معاهد الترجمة في مدينة طليطلة وذلك في القرنين (12 ، 13 م) ، كما تأثر شيخ المترجمين الأوربيين غنصالفة بآراء فلاسفة الإسلام ، وعندما بدأ الأوربيون قراءة كتب فلاسفة الإسلام بدأت النهضة الحقيقية للفكر الفلسفي الأوربي .

[1] نعتمد في سرد هذه المعلومات بشكل كامل تقريباً على :أبو خليل ، شوقي ، علماء الأندلس ، ابداعاتهم المميزة وأثرها في النهضة الأوربية ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 2004 ؛ الحجي ، الحضارة الإسلامية ، ص 36 ـ 68 ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، 480 ـ 487 ؛ والمؤلفات في هذا الباب أكثر من أن تعد وليس هذا مجالها .

3	الجغرافية والرحلات	• يعد المسلمين الأوائل الذين ارتادوا الأماكن والبحار وفتحوا الطريق للعالم فيما بعد أن يقوموا برحلات الاستكشاف ، ولعل الجغرافيين المسلمين أول من تحدث عن شمال اوروبا وشرقها . • تقارير وكتب الرحالة المسلمون لا تزال في بعضها تمثل المصادر الأولى وربما الوحيدة عن تلك الأقطار ولتلك الفترة ، خاصة فيما يتعلق بمناطق بعيدة كمؤلفات البكري والإدريسي والقزويني. • ترجم كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي والذي يحتوي 40 خريطة منها خريطة العالم إلى اللاتينية واعتمدت عليه أوربا أكثر من ثلاثة قرون . • قال المسلمون بكروية الأرض وبرهنوا أن الشمس لا تطلع على جميع بلاد العالم في وقت واحد ولا تغرب عنها في وقت واحد ، وكذلك بيان مسالة المد والجزر . • كان للمسلمين أثر كبير في تهيأة أجواء وأسباب كثير من المكتشفات الحديثة فاقتبست مآثرهم وترجمت كثير من كتبهم واقتفيت آثارهم . • إذا كان وصول العرب المسلمين إلى القارة الأمريكية قبل كولومبس امراً غير مقطوع به ، فمن المحقق إنهم وصلوا في المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) إلى امد بعيد وانتهوا إلى بعض جزائره اما الأمر الذي لا شك فيه إن الفكرة التي نهضت بكولومبس مكتشف القارة الامريكية إنما هي فكرة عملية مستمدة من المؤلفات العربية فلولا اقتناع كولومبس باستدارة الأرض لما خطر إليه أن يصل إلى الهند عن طريق الغرب ، ولم تكن في اوربا يومئذ مؤلفات تشرح هذه الفكرة غير المؤلفات العربية .
4	التاريخ	• جعل المسلمون التاريخ علماً قائماً بحد ذاته وله أصوله ، ويعتبر ابن خلدون من اوائل الذي كتبوا في فلسفة التاريخ ومن المجددين فيها ، ولقد ترجمة مقدمته إلى مختلف اللغات عدة مرات ، ومنها استمد اوغست كونت العالم الاجتماعي الفرنسي كثيراً من آرائه ونظرياته .
5	البحرية	• تطورت البحرية الإسلامية وبلغت شأواً بعيداً ، وبعض مصطلحاتها انتقلت إلى أوربا كما سنرى . • أقام المسلمون دوراً لصناعة السفن وفي أكثر من مدينة أندلسية ، ووصلت صناعتها درجة عالية متقنة ، واستعمل لها أحسن أنواع الخشب . • كانت السفن والأساطيل الحربية مزودة بأسلحة فعالة كالنار البحرية أو الإغريقية ، كما كان هناك أمراء أو قادة تخصصوا في البحرية فيقال : أمير البحر أو (قائد الأسطول) .
6	التعليم	•نقلت من الأندلس أساليب وأنظمة الجامعات والتدريس وأفادت منها ، ومنها نظام الإجازة العلمية ، ونظام المعيدين ووجود أستاذة مشهورين يدرس الطلبة على أيديهم ، وكذلك قلدتها في لبس الأردية الخاصة بالأساتذة ، وتخصيص أروقة للطلاب حسب جنسياتهم تسهيلاً لاستيعابهم في الجامعة . •يقول البعض أن لفظ بكالوريوس Baccalureate ليس إلا تحريفاً للعبارة العربي : بحق الرواية أي حق التعليم بتخويل من الغير ، ومن الأندلس انتقلت هذه الأمور إلى اوربا . •زخرت الاندلس بجامعاتها في قرطبة وإشبيلية ومالقة وغرناطة ، وكان الاساتذة يختارون على أساس معين ولمؤهلات خاصة . •درّس عدد من الاساتذة المسلمين في فروع العلوم المختلفة في بعض الجامعات الأوروبية كجامعة مونبيليه في جنوب فرنسا . •لا تزال جامعة كمبرج تحتفظ بإجازة جامعية عربية مبكرة تعود إلى عام 1147 م فيها عبارة بحق الرواية ، بينما لم تظهر كلمة بكالوريوس في الاجازات الأوربية قبل عام 1221 م .

7	الطب والصيدلة	• خلف المسلمون في الأندلس ثروة كبيرة في هذا الميدان وجاءوا بأشياء حديثة بعضها لا زال معمول به حتى اليوم . • تمكن أبو القاسم الزهراوي من سحق الحصاة في المثانة وتشريح الأجسام الحية والميتة ، واجرى عمليات في العيون والأسنان والولادة ، كما أبدع في مجال الجراحة النسائية ومنها عمليات معالجة الجنين واخراجه في حال سقوط يده او ركبته ، أو تقدم أرجله على رأسه ، ووصف ولادة الحوض التي تنسب الآن إلى الدكتور فالشر واجراها الزهراوي بنحو 900 عام ، وكان يتخذ الخيوط اللازمة لخياطة الجروح من امعاء بعض الحيوانات. • يوم انتشر مرض الطاعون في اوروبا في منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، ووقف القوم هناك حياله مكتوفي الأيدي ، على اعتبار أنه من قضاء الله ، وضع الطبيب الغرناطي المسلم ابن الخطيب كتابه (حقيقة السائل عن المرض الهائل) ليؤكد فيه نظرية العدوى ويبرهن عليها . • كان مستوى الطب الأوروبي في العصور الوسطى أيام الحروب الصليبية متدنياً ، حيث جهل الأوربيون بالطب واعتبروا المرض نوعاً من العقاب الإلهي لا يصح للإنسان معالجته أو العمل على البرء منه ، هذا الوقت الذي كانت فيه حتى المستشفيات المتنقلة والطب النفسي معروفاً عند المسلمين ، وعن الأندلس انتقل هذا العلم حيث ترجمت أكثر هذه الكتب إلى اللاتينية ، وتدل كثرة الاصطلاحات الطبية في اللغات الأوربية كما سنرى ذات الأصل العربي على هذا الأثر . • كان كتاب الحاوي للرازي احد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس سنة 1395 م وعندما أراد الملك لويس الحادي عشر استنساخه اضطر إلى دفع مبلغ كبير من الذهب والفضة مقابل استعارته . • اعتنى الأندلسيون بالطب البيطري وألفوا فيه وشرحوا الكثير من مبادئ فن البيطرة . • كانوا اول من انشأ فن الصيدلة . • يمثل ابن البيطار أعظم عالم نباتي في القرون الوسطى ، كتب (المغني في الأدوية المفردة) و(الجامع في الأدوية) التي اورد فيها اكثر من 1400 عقار نباتي وحيواني ومعدني منها 300 جديدة ، وبين الفوائد الطبية لجميع هذه النباتات وكيف يمكن استعمالها كأدوية واغذية، وقد ترجم إلى اللاتينية ولغات اوروبية أخرى ، حيث بقيت من أهم كتب الصيدلة التي اعتمدت عليها أوربا في القرون الوسطى.
8	علم النبات والزراعة	• درس الطبيب احمد بن محمد القرطبي الغافقي النباتات الإسبانية والإفريقية ووصفها ووضع أسماءها بالعربية واللاتينية والبربرية . • كان المسلمون يعرفون خواص الأتربة والسماد الملائم لها اكثر من غيرهم إلى درجة عالية وكان لذلك أثره في الزراعة .
9	الفلك	• جعل المسلمون هذا العلم بعيداً عن التنجيم والخرافات وانتجوا الكتب والنظريات التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية ، وليست جداول الفونسو العاشر الفلكية في الفرن 7هـ/ 13 م، إلا منقولات عن اللغة العربية . • كان للمسلمون المراصد العلمية في طليطلة وقرطبة ، ووضعوا التقاويم ولهم آلات متعددة للرصد. • كان عباس بن فرناس أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة واول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال ، واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه بالريش ، ومد له جناحين ، ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه ، كما إنه أبدع قبة سماوية وجعلها في داره ، تمثل صور الكواكب والشمس والقمر والنجوم والغيوم وما يتبعها من رعود وبروق ، كما أبدع آلة اسطوانية تغذي بحبر سائل يستخدم في الكتابة هو اول قلم بحبر سائل سبق بها ستيلو الفرنسي بقرون .

10	الرياضيات	• إن الكثير من الاصطلاحات المتعلقة بهذا العلم في اوروبا حتى اليوم تدل على مقدار تأثيرهم به فالأرقام الاوربية الحالية عربية الأصل وربما محورة من أصل هندي . • الصفر الذي حل مشاكل كثيرة في العمليات الرياضية نقل إلى أوروبا من الأندلس ولا يزال ثفر Cipher او زيرو Zero ليست إلا كلمة الصفر العربية ، حتى معنى الكلمة لغوياً نقلت من العربية بمعنى عديم القيمة ، وقد استخدم لوثر هذا اللفظ امام البابا للتعبير عن ضعف الأساقفة بأنهم كالأصفار . • تبنى الاوربيون الارقام العربية عام 1202م على يد ليوناردودي بيزا الذي درس الرياضيات على يد معلم عربي شمال افريقية . • المسلمون هم الذين اخترعوا الكسور العشرية في الحساب ، كما استخدموا الموزر في الرياضيات ، فاستعملوا (س) للمجهول و(ح) للجذر ، وفي المثلثات أوجدوا المماس وحلوا المعادلات المكعبة ، وكل ذلك ترجم إلى اوروبا . • اول رسالة في الرياضيات طبعت في اوروبا سنة (1493 م) كانت مأخوذة من جداول البتاني.
11	الفيزياء	• وضع المسلمون النظريات لهذا العلم ، وليست نظرية الجاذبية لإسحق نيوتن إلا ذات اصل إسلامي . • تحدثوا عن المغناطسية والعدسات ، والبصريات ، والصوت ، وأدركوا أن الضوء أسرع من الصوت وأبدعوا في هذا المجال وتفوقوا فيه .
12	الكيمياء	• الأسماء العربية التي بقيت في اللغات الأوربية لهذا العلم وأدواته تشير إلى هذا التأثير . • توصل المسلمون إلى كثير من الصناعات بواسطة المواد الكيميائية في الصبغ والدبغ وصناعة المعادن وتركيب العطور . • اخترع المسلمون ملح البارود كمادة متفجرة قابلة لإطلاق القذائف وعنهم أخذته انكلترا ثم بقية اوروبا . • عرب الاوربيون من المسلمين تقسيم المواد الكيمائية إلى نباتية وحيوانية ومعدنية .
13	العمارة والهندسة	• تعتبر المباني الأندلسية التي لا يزال بعضها قائماً حتى اليوم قمة في الهندسة المعمارية ، مثل قصر الزهراء ومسجد قرطبة الذي كان يضم 1300 عمود لم يبق غير نصفها تقريباً . • لقد تأثر عدد من مباني أوروبا بفن العمارة الأندلسي .
14	الصناعات	• ازدهرت صناعة الورق في الأندلس ، حيث يعتبر الورق من الخدمات الكبيرة التي أسداها الإسلام إلى أوروبا والعالم ، وكلمة ريم Ream الإنجليزية هي كلمة رزمة العربية وهي بالاسبانية Resma . • ازدهرت صناعة الفخار والفسيفساء الملونة والمنسوجات ومن الأندلس انتقلت إلى اوربا.
15	البحث العلمي	• إن أساليب البحث العلمي السليم وليدة الفكر الإسلامي ، حيث اوجب الإسلام الصدق والدقة وتحري الحقيقة في كل شي للوصول إلى الأحسن ، وهذا مصدر مهم لتكوين الفكر المسلم وبالتالي إنشاء الأسلوب الدقيق العميق الذي يقوم على التجربة والاختبار . • ليس روجر بيكون الانكليزي هو صاحب المذهب التجريبي بل إنه نقله إلى تلامذته من أساتذته المسلمين ، وقد صرح هو نفسه دون ملل بان اللغة العربية وحضارتها الإسلامية هو الطريق الوحيد بالنسبة لكل معاصريه للمعرفة الحقة ، وكان بيكون وهو أحد تلامذة المسلمين يعرف جيداً اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

ملحق (2)

بعض الكلمات الأجنبية ذات الأصول العربية [1]

(أجل إن في لغتنا كلمات عربية عديدة ، وإننا لندين ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب ، الذي كان يوماً من الأيام قاتماً كالحاً باهتاً ، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير العابق ، وأحياناً باللون الساحر وزادته صحة وجمالاً وأناقة وروعة) .

هونكه ، شمس العرب ، ص20

الحقل	الكلمة
الدين	كلمة الله Alah القرآن Alcoran ، الحديث Hadith ، الاسلام Alislam ، الفتوة Alfatea ، رمضان Ramadan، السنة Alsonna ، السلام عليك Al-salamalec ، سورة Saurate ، مؤذن Muezzin ، رب Rab ، بركة Baraka ، ابليس Elb'is ، جن Djiun ، حرام Haramu ، زكاة Zekkat ، هجرة Hegira ، طلسم Talisema، وقف Wakouf ، خراج Carag.
الإدارة	خليفة Calife ، أمير Emir ، والي Vali ، وزير Visir ، رئيس Reis ، القاضي Alcaede ، المحتسب Almotocie ، الحاجب Alhaque ، صاحب المدينة Falmedina ، صاحب السوق Fabasouquae ديوان Diuan ، ولاية Vilaget.
الجيش	القائد Alcaide ، أمير البحر Adbuirate ، الدليل Aldalil ، الطلائع Alataya ، القارة A. Igurdde ، الطائفة Aceifa ، العرض Alarde ، الرباط Rabate ، نفير Anafir ، الفارس Alfaroz ، الدرقة Aldorgu، بارود Baroud ، طرادة Tarffe، جيش Djech ، غزوة Rozzia ، مرابط Marabout ، حراثة Caraque.
العمارة	البناء Albaenie ، الربض Arrba ، الحوز Alhoz ، السطحية (السطح) Azatea ، القبة (غرفة النوم) Aleobe ، الأسطوان (مدخل البيت) Fayuon ، الطوب Adube ، القصر Alcosar، مسجد Mosuqee ، منبر Minbar ، منارة Minaret ، محراب Mihrab.
التجارة والاقتصاد	السوق Souk ، ميناء Cabar ، فنار Fanal ، سمسار Cemcal ، دكان Dogana ، الديوان (الكمرك) Aduoma ، مخزن Magozzia ، معرفة (شركة تجارية) Maond ، مخاطرة Moatra ، التعريفة Tarifa، المناداة (المزايدة) Almoneda ،: دينار Dinar ، درهم Adorme ، السكة Ceea ، قنطار Kantar ، قيراط Corat، مثقال Molacal ، عشر Achour ، أردب Ardib ، القفيز abis ، المد

[1] اليوزبكي، توفيق سلطان، الحضارة العربيّة الإسلامية في الأندلس وأثرها على أوروبا ، مجلة آداب الرافدين، العدد 13 ، بغداد

	Almud ، الرطل Arreelde ، الربعة Arraba.
الرياضيات	الجبر Algebra ، الخوارزمي (المقصود به الحساب) Algursime ، المقابلة Almohabel ، المجسطي Cipher ، الصفر Cipher.
الفلك	العذارىAdara ، السها Alcor ، الجنب Algenib ، الفكة Alphacca ، الجبهة Algieba ، عرش الجوزاء Arsh ، بنات نعش Benatnasch ، السرطان Cancer ، الكلب الأكبر CamisMa,or ، الكلب الأصغر Camis Minor ، ذنب الدواجن Deneb Eldolphinas ، ذنب الجدي Deneb Elokab ، ذنب العقاب Daneb Elkab ، النصل Elnasl ، الراعي التنين Etanin ، فم الحوت Famu Lhout ، رأس الأسد Res Al Asad ، رأس الثعبان Res toban ، سعد الملك Saod Al Melik ، سعد السعود Saod Saoud ، العذراء Virgo ، الطائر Altair ، قرن الثور Tauri، السموات amwet.
الكيمياء	الكيمياء Alchemy ، الكمل Alcuhal ، زرنيخ Arsenic ، بورق Barax ، الاكسير Elixir ، قرمز Kermes ، كبريت Kibruit ، الانبيق Linbick ، نفط Naphta ، عطر Attar ، الزئبق Assoguc ، قطران caudran ، بنج Bang ، سموم Simouim.
الزراعة والنبات	الريحان Arroyon، الخزامى Alhuzema، الموز Banane، نارنج Naronga، الزعفران Azafran، ليمون Liom، البرقوق Albericaguo، الزيتون A Coton، باذنجان Berenjena، البرقوف Albericaguo، القطن Coton، والرز Riz، وقصب السكر Sugra، والقهوة Cafe، الساقية Aceqiua، الناعورة Naria، السد Azud، البركة Alburca.
الموسيقى	القانون Kanoan، الطبل Timbal، النقارة Naker، القيثارة Cuitar، الرباب Rebee، والعود Luth.
الأقمشة	القماش المعروف باسم (موسلين) نسبة إلى الموصل ، والعتابي Tabby نسبة إلى حي عتابي ببغداد ، وأطلس والخميل Camiel، وموهير Mohair وأصله في العربية مخير.
الحيوانات	الحصان Alizan، الغزال Algaasele، الطير Altair، كلب Cleb، دب Dub، زرافة Cirafo، صقر Sakre، الغول A gol، الفيل Fau، يربوع Grbo، ببغاء Papge، وحيد القرن Aboukorn، ابرة (أنثى وحيد القرن) Abafa، بكر (الجمل الصغير) Albacore، آيل (نوع من الغزلان) Ariel، ضبع Dabuh، فندى (نوع من الفئران) gundi، حرذون (نوع من السمالي) Haudim، الحر (نوع من الطيور) Alhorre، العقرب Alacran

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأولية

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت478 هـ)
ــ جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، 1968
صاعد الأندلسي ، أبو القاسم (ت 462 هـ)
ــ طبقات الأمم ، نشره لويس اليسوعي ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1912
المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ)
ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ، دار صادر ، 1968 .

***

ثانياً : المراجع الثانوية

ابن عاشور، محمد الفاضل
ــ روح الحضارة الإسلامية، ط2، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1992 .
أبو خليل، شوقي
ـ علماء الأندلس إبداعاتهم المميزة وأثرها في النهضة الأوربية، ط1، دمشق ، دار الفكر ، 2004 .
بول ، ستانلي لين
ــ قصة العرب في أسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، القاهرة ، 1974 .
الحجي ، عبد الرحمن
ـ أندلسيات ، ط1 ، بيروت ، دار الإرشاد، 1969 .
ـ الحضارة الإسلامية في الأندلس،ط1 ، بيروت ، دار الإرشاد ، 1969.
زيغريد هونكه
ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فؤاد بيضون وكمال دسوقي ، ط 8 ، بيروت ، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ، 1993 .
سالم ، السيد عبد العزيز
ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة .
السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون
ـ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، الموصل ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل ، د.ت
محمد ، صالح إدريس
ــ تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم الدعوة ، 1994 ، ص 405 ـ 413 .
مؤنس ، حسين
ـ الحضارة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 .

***

ثالثاً : المجلات والدوريات

الأهواني ، عبد العزيز

ـ اللقاء الحضاري في الأندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، بغداد، 1978.

اليوزبكي، توفيق سلطان

ــ الحضارة العربيّة الإسلامية في الأندلس وأثرها على أوروبا ، مجلة آداب الرافدين، بغداد ، العدد 13 .